

تفسير البحر المحيط

@ 190 @ بحسب ما حفظ من أنهم لم يعودوا إلى مصر ، على أنه في القرآن كذلك . { وَأَوْرَثْنَا هَارُونَ إِسْرَءِيلَ } يعني ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك . وقد يحتمل أن يكون وأورثناها معناها الحالة من النعمة وإن لم تكن في قطر واحد انتهى . وقيل : ما بين المدينة والشام من أرض يثرب ذكره علي بن أحمد النيسابوري ، وهذا على قول من قال : إن بني إسرائيل هم الذين بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم) . ولما ذكر أنه بوأهم ميوأ صدق ذكر امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وهي : المآكل المستلذات ، أو الحلال ، فما اختلفوا أي : كانوا على ملة واحدة وطريقة واحدة مع موسى عليه السلام في أول حاله ، حتى جاءهم العلم أي : علم التوراة فاختلفوا ، وهذا ذم لهم . أي أن سبب الإيقاف هو العلم ، فصار عندهم سبب الاختلاف ، فتشعبوا شعباً بعدما قرؤوا التوراة . وقيل : العلم بمعنى المعلوم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم) ، لأن رسالته كانت معلومة عندهم مكتوبة في التوراة ، وكانوا يستفتحون به أي : يستنصرون ، وكانوا قبل مجيئه إلى المدينة مجمعين على نبوته يستنصرون به في الحروب يقولون : اللهم بحرمة النبي المبعوث في آخر الزمان انصرنا فينصرون ، فلما جاء قالوا : النبي الموعود به من ولد يعقوب ، وهذا من ولد إسماعيل ، فليس هو ذاك ، فأمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه . وقيل : العلم القرآن ، واختلافهم قول بعضهم هو من كلام محمد ، وقول بعضهم من كلام الله وليس لنا إنما هو للعرب . وصدق به قوم فأمنوا ، وهذا الاختلاف لا يمكن زواله في الدنيا ، وأنه تعالى يقضي فيه في الآخرة فيميز المحق من المبطل . .

{ فَلَمَّا كُنْتُ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } : الظاهر أنَّ إنَّ شرطية . وروي عن الحسن والحسين بن الفضل أنَّ إنَّ نافية . قال الزمخشري : أي مما كنت في شك فسل ، يعني : لا تأمرك بالسؤال لأنك شك ، ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعينة إحياء الموتى انتهى . وإذا كانت إنَّ شرطية فذكروا أنها تدخل على الممكن وجوده ، أو المحقق وجوده ، المنبهم زمان وقوعه ، كقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِّنْ } والذي أقوله : إنَّ إنَّ الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه ، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ }

فَأَزَلَّهُ أَوَّلُ الْوَعَابِدِينَ { ومستحيل أن يكون له ولد ، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك ، وفي المستحيل عادة كقوله تعالى : { وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا عَلَايَكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَبْتَغِي زَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ { أي فافعل . لكن وقوع إن للتعليق على المستحيل قليل ، وهذه الآية من ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج إن للتعليق على المستحيل قليل ، وهذه الآية من ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية ، فقال ابن عطية : الصواب أنها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم) ، والمراد بها سواه من كل من يمكن أن يشك أو يعارض انتهى . ولذلك جاء : { قُلْ يَا أَهْلَ * أَيُّهَا النَّاسُ * إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي { وقال قوم : الكلام بمنزلة قولك : إن كنت ابني فبرني ، وليس هذا المثال بجيد ، وإنما مثال هذه قوله تعالى لعيسى عليه السلام : { قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي { انتهى . وهذا القول مروى عن الفراء . قال الكرمانى : واختاره جماعة ، وضعف بأنه يُصير تقدير الآية : أنت